كلمة

الأب الدكتور جريجوري ماتروسوف

رئيس مجلس الخبراء بإدارة بطريركية موسكو

وعموم روسيا للتفاعل مع العالم الإسلامي

الأسس المفاهيمية للتعايش العالمي والأخوة الإنسانية

يبدو أن الموضوع المعلن لمنتدانا «تجربة تعزيز التعايش العالمي والأخوة الإنسانية» يتطلب مناقشة بعض الأمثلة الناجحة لكيفية إيجاد أرضية مشتركة والعيش بسلام بالرغم من وجود اختلافات.

هناك العديد من الأمثلة على هذا النوع في تاريخ العالم. ولكن لسوء الحظ، علينا أن نعترف بأن العالم، لسبب أو لآخر، على وشك كارثة مدمرة بالكامل ويقترب كثيرًا من هذه الكارثة في الوقت الحالي من أي وقت مضى في التاريخ. ولذلك نرى أنه من المهم جدًّا، في وقت هذه المحنة الكبيرة التي نعيشها كلنا، ألا نستنزف جهودنا في البحث عن المذنب، بل أن تتضافر جهودنا لمحاولة إيجاد طريقة للخروج من الوضع الحالي، فيجب أن نحاول معًا سد الثغرات الموجودة في سفينتنا المشتركة، وألا نستهلك الوقت في الجدال بشأن من تسبب في إحداث ثقوب ضخمة في السفينة، أو هل اتخذ القبطان أو الملاح قرارًا خاطئًا؟

يمكننا، بلا شك، أن نعلن أن الخبرات الفكرية والعلمية والثقافية وغيرها من الخبرات الغنية جدًّا التي تراكمت على مدى آلاف السنين، والتي سمحت للإنسانية بتحقيق أعلى أهداف الحياة البشرية، ليست في حد ذاتها ضمانًا للسلام؛ حيث يبدو أن العوامل الخارجية في حد ذاتها - كسلام الشعوب وازدهارها - لا تضمن دائمًا وجود أساس صحيح وصحي للتعايش؛ فقد يتم القضاء على كل شيء في أي لحظة.

ومن الواضح من خلال وجودنا في الحياة اليومية أنه يمكن تدمير العلاقات القوية بين الأصدقاء أو الجيران أو الزملاء بكلمة واحدة أو

بفعل خاطئ أو حتى ناجم عن سوء فهم. ومن ناحية أخرى، غالبًا ما يستغرق إعادة بناء هذه العلاقات الدهر كله.

يبلغ عدد المسلمين والمسيحيين نصف سكان العالم، أي حوالي 4 مليارات نسمة. وبالتالي، فإن إيجاد نقاط مستقرة للتواصل بين هاتين الديانتين العظيمتين هو أهم مهمة في تاريخ العالم كله. وهذا الهدف ليس بجديد ولكن تحقيقه وتنفيذه ما زال صعبًا من الناحية العملية ويبقى مهمة ذات أولوية جوهرية.

أود أن أعرض بإيجاز أسس العيش السلمي والمثمر، التي تضمنتها النصوص العقائدية في المسيحية والإسلام:

1- يجب أن يكون الرب في قلب حياتنا.

توضح المسيحية والإسلام معايير الحياة البشرية التي يمكن للإنسان أن يحقق فيها السعادة:

يقول الكتاب المقدس: «وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك.» (متى 22: 37).

وبالمثل، يقول القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١].

إن أهم قيمة يجب أن تتشاركها الأديان وتبرهن عليها هي أنه: «بدون عبادة الرب، وبدون عودة الرب إلى مركز الحياة البشرية، لا يمكن تحقيق السعادة والرفاهية».

2- كيف ينبغي للمرء أن ينظر إلى جاره

يعبر المسيح عن جوهر الإنجيل في وصيتين، ذكرنا أحدهما أعلاه وهي وصية محبة الرب.

والثانية مثلها: «أحب جارك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (متى 22: 39-40).

وقد وردت نفس الفكرة في أحد أحاديث محمد.

حيث تحدث النبي محمد عن ضرورة محبة الجار:

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه.» [متفق عليه [-]صحيح]

هذه الوصايا المدهشة في بساطتها وعمقها تحصن الأساس وكل القيم التي يجب أن نعززها. وفي الوقت نفسه، يتطلب نشر هذه القيم تنفيذًا على المستوى العملي.

3- القيم العائلية

في رأيي، القيم التقليدية هي النقطة الثالثة، ونشرها وثيق الصلة بعالمنا المعاصر.

يرفض الإنجيل والقرآن بشدة أي انحراف عن العلاقات الأسرية التقليدية. ولكننا مضطرون للأسف اليوم إلى أن نشهد تيارًا نشطًا من الدعاية التي تهدف إلى تدمير الأسرة التقليدية وإفساد العلاقة التقليدية بين الرجل والمرأة.

4- التسامح الديني

سوف أذكر قيمة مشتركة أخرى يجب الدعوة لها بشكل كبير.

لسوء الحظ، شهدنا في العقود الأخيرة علامات على كراهية المسيحية وكراهية الإسلام بشكل أكثر وضوحًا في جميع أنحاء العالم، وتميل الدبلوماسية إلى إسكات مثل هذه المظاهر. ومع ذلك، ينتشر التمييز الديني بشكل كبير للغاية، وهذا يستهدف بالتأكيد أسس المسيحية والإسلام. ولن يؤدي الجهل والقمع المتعمد لمبادئ هاتين الديانتين إلا إلى التطرف والكراهية.

إن الإنجيل لا يتحدث عن محبة الجار فقط، فأفضل مثال على تعاليم الإنجيل بشأن الحب هو وصية المسيح التالية:

«وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى 5: 44)

كما يؤكد القرآن على مبدأ التسامح في عدة مواضع منه، ومنها قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

الخاتمة

يمكن إيجاد نقاط الاتصال بين الإسلام والمسيحية في مجالات متعددة. لذلك، فإننا نرى أن ضرورة استمرار التفاعل والتعاون في المجالات

الإنسانية والثقافية من الأولويات المطلقة. كما أن إيجاد مشروعات محددة وإمكانية تنفيذها، وكذلك توسيع نطاق التعاون بين الدول والمنظمات الدينية المختلفة والناس العاديين، هي أيضًا مسألة مهمة وحيوية في عصرنا. كما أن التجارب النظرية والعملية الثرية للتفاعل وثيق الصلة بين المسيحية والإسلام يجب أن تجعلهما حلفاء قادرين معًا على حل مشكلات الأمن العالمي ودعم استمرار تاريخ البشرية.

❋ ❋ ❋